

النسق القرآني وأثره في الترجيح (سورة الماعون أنموذجا)

د. أحمد إسماعيل نوفل*

تاريخ قبول البحث: ٢٠/٤/٢٠١١م

تاريخ وصول البحث: ١٥/٩/٢٠١٠م

ملخص

هذا البحث يعالج مشكلة اختلاف الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، بناءً على الاختلاف في مكية السورة أو مدنيته، هادفاً إلى تحقيق القول في ذلك من خلال قاعدة النسق القرآني؛ بالربط بين أنساق سورة الماعون التي وردت فيها الآية، ليصل إلى المعنى الصواب- فيما أرى- والذي يحدد: هل السورة مكية أم مدنية؟ وبالتالي: من هم المصلون؟ هل هم المنافقون أم المشركون؟

Abstract

This research deals with the problem of different sayings of the interpretation of the verse (waylun lel – musalin) AL-Maoon 4. Based on the difference of the chapter being decended in Mecca or Madina? Aiming at achieving the saying in that by the harmony Quran, And by connecting Al-Maoon Sora which included this verse to reach the correct meaning”. -which I see- And which determines whether the Sora was in Macca or Madina at the end who are the people who pray?

مقدمة:

البشرية جمعاء: القرآن الكريم؛ الذي لا يدانيه في ذلك أي كلام آخر من كلام البشر المتفاوت في القوة والضعف، والعلو والسفل، وما إلى ذلك من قصور البشر وتعثر أدائهم، مع ما تحمله دلالات القرآن من تنوع في الموضوعات، والأهداف، وامتداد نزوله في الزمان. وهذه الظاهرة التناسق- أحادية المستوى ظاهرة للعيان كالشمس في رابعة النهار لكل متدبر للقرآن، لتصدع مدللة على الريانية والكمال. وقد اتسعت العناية بهذا الفن العظيم: "فن التناسق والأنساق في القرآن الحكيم" ليكون له دور عظيم في التفسير وفهم معاني القرآن، بل ليكون وسيلة من وسائل الترجيح عند اختلاف الفهوم في تفسير أي قطعة من القرآن طالعت أم قصرت، حتى أصبح الاهتمام بالأنساق منهجاً لا يغيب عن صفحات المفسرين قديماً وحديثاً، وإن سلطت الأضواء عليه حديثاً.

وأول من سلط عليه الضوء هو سيدنا محمد ﷺ؛

فقد روى ابن مسعود ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾

﴿أَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

أحمدك ربي على ما أنعمت وتنعم، وأصلي على نبيك محمد ﷺ، ويعد:

فالسبك والتناسق، والجودة والتلاؤم، والترابط والتناغم، ونواميس وقوانين لا تتفك ألبتة عن كتابي الله: المنظور منهما والمقروء؛ فالعالم كله تحكمه نواميس كونيّة ملائكة ﴿سُ يُنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ جَعَّعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤].

فلك مضبوط في كون عريض، ثمرته ليل ونهار في موعد مضبوط دقيق، لم ولن يتخلف على مر العصور والدهور.

وهذه الجودة وهذا السبك والترابط والتماسك ينسحب

بشكل أعظم وأحكم على كتاب الله المقروء، ومعجزة

* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

مُهَنُونَ ﴿الأنعام: ٨٢﴾، قال: ﴿لَمَّا نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ هو كما تظنون، إنما هو كما قال لِقَمَارِئِنِّي ﴿لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ^(١) وهذا من التناسق والنسق في المواضع المختلفة.

وقال صاحب الظلال ^(٢) في ثنايا تفسيره لقوله

تَعَالَى: ﴿لَا أَمَلُكَ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يُلَاقُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] "... وقد قدم ذكر الضر هنا وإن كان مأموراً أن يتحدث عن نفسه ^(٣) لأنهم هم يستعجلون الضر، فمن باب التناسق قدم ذكر الضر، أما في موضع آخر في سورة الأعراف ^(٤) فقدم النفع في مثل هذا التعبير، لأنه الأنسب أن يطلبه لنفسه ^(٥).

ففي القرآن الكريم منهجية عالية ينبغي اكتشافها والتعرف عليها وتحليلها، وهي كفيّة إن روعيت أن تحسم الكثير من المتشابه أو المشتبّه، والكثير من مواطن الاشتجار والاختلاف؛ لأن التفسير حينئذ يكون منضبطاً بضوابط، ملتزماً بقواعد، تشكل هذه الضوابط ضمانات لأحسنية الفهم في كلام الله، والقول الذي يليق بكتاب الله وجلال آياته.

أما الاضطراب الحاصل في الأقوال، والتعدد المشتت فليس فيما أرى من اختلاف التنوع الذي يغني موضوعات البحث، ولكنه اختلاف تضاد، يضيع الهدف، ويشنت التركيز، ويبعد المسافة كما في العدسات المحدبة.

والتناسق والأنساق أحد الأركان التي لا غنى لأي مفسر لكتاب الله عنها، إذا اجتمعت مع ركن اللغة بمعناها الواسع، والمأثور الصحيح، فهذه ثلاثية إذا تكلفت بتوفيق العليم الخبير فهو السبيل المسبب للاهتداء إلى فهم أفضل لكتاب الله ﷻ ^(٦)، وترجيح الفهم الصحيح عند الاختلاف، وهذا ما سأثبتته في هذه الدراسة بأمثلة تطبيقية وقع الخلاف فيها من قديم، وعسى أن أصل فيها إلى حسم ما اختلف فيه من القول.

وهذا بحث في تفسير قوله تعالى ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾

وقال ابن تيمية - رحمه الله - عندما سئل عن أحسن طرق التفسير: "إن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر" ^(٧).

ولعل مراعاة السياق من أهم الأسس التي اعتمدها ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين في كثير من الآيات، وقد أكد مرات عديدة أنه من غير الجائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم بها، من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، وأن توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الكلام أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه ^(٨).

و"هناك من عبر بأفاهام مرادفة للفظ السياق، مثل لفظ المقام، والمقتضى، ومقتضى الحال، ولفظ التأليف، ولفظ النظم القرآني"، وهي جميعاً تدل على مفهوم التنااسب، الذي نتكلم عنه، بدرجة أو بأخرى ^(٩).

والتناسق والتنااسب موضوع متشعب، ووجوهه كثيرة من التناسق بين موضوعات السورة، أو السور المختلفة، أو بين آخر السورة وأول التالية بعدها، ومن وجوه التنااسب والتناسق: التناسق بين مطلع السورة وخاتمها: قال الإمام الرازي - رحمه الله - عن المتقين في مطلع سورة البقرة " ... بدأ في السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب، وقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، ويبين في آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد ﷺ، فقوله ﴿لَمَّا مَنُونَ كُلٌّ آمَنَ مَّا لِكُلِّهِمْ وَوَكَّلْتَهُمْ﴾ و رَسُلِهِ لَأَنفَرَقُ بَيْنَ أَدَدٍ مِّنْ

والضباب عن وجه تفسير آي الكتاب؛ حتى يغدو التفسير مفهوماً مجلواً لذوي العقول والأبواب. أما أن نرتضي بهذه التناقضات، وتبقى الأمور في نطاق المبهمات، محاطة بالمتشابهات؛ فهذا ما لا يحسن بنا أن نرضى به في تعاملنا مع الآيات.

ولا أدعي أن التفسير كان ينتظر هذه الكلمات التي سطرت في هذه الصفحات- معاذ الله، وإنما قصدت أنني خصصت جهدي لكلمتين من كلام الله، وآية قصيرة من آي كتاب الله وبذلت فيها هذا الجهد بفضل الله، وما توفيقي إلا بالله وما اتكالي إلا عليه سبحانه.

ولا ريب أن من يقعد للتفسير بعامه ليس كالذي يجتهد لكلمتين، ونسأل الله ﷻ التوفيق لمجتهد الكلمتين، ومجتهد الكتاب كله، كعلمائنا السابقين واللاحقين، وجزى الله جميعهم خيراً جزيلاً كثيراً.

التمهيد: بين يدي الموضوع:

القرآن كلام الله، وفهم كلام الله مقدمة للإيمان به، ثم العمل الصالح الذي هو ثمرة الإيمان، والذي هو بدوره مقدمة الجزاء الحسن عند الله، في الدنيا والآخرة.

والفهم غير السديد لكاتب الله يسيء إلى صورته البهية البهيجة، ثم يقود إلى إيمان غير سليم، ثم إلى عمل غير صالح؛ لينتهي إلى جزء من جنس العمل؛ ومن هنا كان فهم القرآن فهماً سليماً، بل أرقى ما يستطيع المرء من الفهم، وأجلى ما نستطيع من البيان، كان أولى الأولويات، وأهم المهمات، وألزم الضرورات.

فإذا ما تركنا العمومات، ودخلنا في صميم الآية أو السورة التي هي موضوع بحثنا هذا، قلنا: إن هذه السورة والآية المعنية منه **﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾** قد حُوت بكثيرٍ من المشكلات؛ نظراً لاختلاف الأقوال في فهمها، فكيف يقال: إن السورة نزلت في أبي جهل أو الوليد أو العاص، ثم يقال: إنها تتحدث عن المنافقين؟! والنفاق- كما يُعلم ظاهرة مدنية؟!؛ وكيف يقال: إن نصف السورة مكي، ونصفها الآخر مدني، وهي لا تكاد تتجاوز السطرين قصراً؟!؛ مثل هذا الخلاف: ليس علامة عافية،

الماعون: ٤]، لا أنه بحث في تفسير سورة الماعون؛ فليسورة جهد آخر، وحيزٌ أكبر. وإني لأرجو أن أرسى منهجاً في تفسير الكتاب المنير، وأسهم في حل مشكلات- أرقت وأشغلت المفسرين قديماً وحديثاً، وبقيت معلقة كما في سورة الماعون وفق قاعدة النسق القرآني، أو مجموعة الأنساق.

وإلا فلا أقلّ من أن أكون بذلت جهداً في تفسير هذه السورة، أو بالأدق: الآية التي وقع الإشكال فيها، وهي قوله تعالى **﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾** حتى وإن لم نصل إلى حل المشكلة، فيكفي المحاول شرف المحاولة، والله من وراء القصد.

ويقع البحث- بعد طرح مشكلته في تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: بين يدي الموضوع.

المبحث الأول: التعريفات: تعريف النسق والترجيح وتعريف عام للسورة.

المبحث الثاني: أقوال المفسرين في معنى: **﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾**. وفيه عرض موجز لأقوال المفسرين وأفهامهم للآية على اختلاف مدارسهم، وتعقيب على تلك الأقوال؛ تمهيداً لاختيار القول الصواب- بإذن الله في فهم الآية وتفسيرها.

المبحث الثالث: صفوة القول الذي أختار، وفق مجموعة الأنساق القرآنية، التي تبين أو تعين معنى: **﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾**.

ثم أتبع ما سبق بخاتمة موجزة، ضمنيتها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وتأتي محاولتي في هذا البحث مستعينة بالله، متبرئاً من الجهد والحول؛ فلا فضل ولا علم إلا منه (سبحانه) وبه وإليه، أما نحن: فأهل التقصير، وضعف التدبير، وقلة التحصيل، وعي الفهم. ومنه (تعالى) العون والتدبير، والإرشاد والتوفيق.

وما طرحته في بحثي بشكل تقعيدياً أو تأصيلياً - بإذن الله ومشيئته- ليس لهذا البحث، أو لهذه الآية فحسب، ولكنه منهج يمكن استخدامه في جلاء الغيم

"والتناسق في الأسلوب، هو: أن يتم تنظيم العبارات فيه على الأساس السابق ذكره بحيث يكون متلائماً على طريقة واحدة، ونظام واحد، متناسق النظم، متناسب الفقرات، حسب الإيقاع..."^(١٤).

- بيان ألوان النسق:

للنسق ألوان ودرجات متعددة، أوجزها "سيد قطب" في "تصويره" بقوله: "... والتناسق في القرآن بلغ الإعجاز في ألوانه ودرجاته وآفاقه؛ فمن نظم فصيح، إلى سرد عنب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل إلى لفظ معبر، إلى مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخيل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى توافق في الموسيقى، إلى افتتان في الإخراج،... وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز"^(١٥).

المطلب الثاني: تعريف الترجيح:

أما الترجيح فهو: "... عبارة عن اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب، مع تعارضهما بما يوجب العمل به وإهمال الآخر"^(١٦).

فالدليلان يجب أن يكونا صالحين للاستدلال؛ لأن الترجيح لا يستدعي عند سقوط دليل تحقق فساد. ويجب أن يتعارض الدليلان حتى يكون الترجيح، ولو عدم التعارض لزال الإشكال.

فمن هنا: كان الترجيح عند وجود آراء في تفسير آية من كتاب الله، استوت فيها قيمة التفسير بحيث يصعب إسقاط رأي أو إهماله أو إخراجها عن حد التساوي إلا بدليل، لا أن يسقط الرأي بذاته.

المطلب الثالث: تعريف عام بالسورة:

لم يرد عن النبي ﷺ أي اسم للسورة^(١٧)، وما ذكر للسورة من أسماء، إنما هي اجتهادات: ما بين التسمية بالكلمة الأولى من السورة، أو بما اشتهرت به كسورة الماعون^(١٨)، وهو الاسم الذي سماها به أكثر المفسرين^(١٩)؛ أو التسمية بموضوع فيها: كتسميتها بـ:

ولا ظاهرة صحيحة.

وعدم المنهجية في التعاطي مع النص يوقع في إرباك وارتباك وإشكال واستشكال، وتتقاذ وتضاد، وتضارب واضطراب والتباس واختلاط...، ويسبب الحيرة المؤدية إلى التخبط، وذلك كله لا يليق في التعامل مع كلام الله ﷻ.

وقد وجدت انعدام المنهجية في التعاطي مع الآية، سأفصلها لاحقاً. إن شاء الله، ولكني أذكر مثلاً لها: كأن يقال: السورة مدنية أو نصفها مدني، ثم يقال: هدف السورة بيان حال المشركين، كما صنع الأستاذ سيد تعبير مصراوي في الوسيط^(١١).

المبحث الأول

التعريفات

المطلب الأول: تعريف النسق وبيان أنواعه:

- النسق لغة:

اللغة بحر محيط لا ساحل له، وكلما جُلت بين أمواجها بحثاً عن جواهرها و لآئها زدت إعجاباً وثقة بالاختيار الرباني لها؛ فإله أعلم حيث يجعل رسالته: محلاً وحاملاً ولغة.

وخاصة قول أهل اللغة الكرام- والزمخشري في طلبعتهم: أن النسق: ما كان على طريق نظام واحد عام في الأشياء، لذلك عرفت حروف العطف عند النحويين بحروف النسق؛ لأنك إذا عطفت الشيء على غيره جرى مجرى واحداً^(١٢).

- النسق اصطلاحاً:

قال سيد قطب (رحمه الله) في معنى التناسق "أن يهيء الأديب لحظة التعبير للألفاظ نظاماً ونسقاً وجواً يسمح لها بأن تشع شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعها مع الجو الشعوري الذي نريد أن نرسمه، وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية، وألا يتم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده"^(١٣).

سورة الدين^(٢٠) وسورة التكذيب^(٢١) وسورة اليتيم^(٢٢).
وروى ابن الصريسي^(٢٣) عن ابن عباس أنه سماها:
أرأيت الذي^(٢٤).

قلت: والاسم التوقيفي فيما أرى هو الماعون،
وباقى ما زعم أنه أسماء إنما هو اجتهادات وإطلاقات،
إما بكلمة بارزة في السورة، أو بأول كلمة منها، أو
بموضوع من موضوعاتها.

المبحث الثاني

آراء المفسرين في تفسير: ﴿فويل للمصلين﴾

المطلب الأول: تردد المفسرين في تصنيف السورة

بين المكي والمدني:

قبل البدء بتعيين المراد بهذه الآية، يجب أن نحدد
مكية أو مدنية السورة كلها؛ فتحديد ذلك يلزم في تفسير
الآية ومن هو المراد منها.

وقد تعارضت آراء المفسرين في تحديد مكية أو
مدنية السورة؛ وسبب هذا التعارض هو في فهم آية:
﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ من هذه السورة؛ الذي جعل علماء
التفسير قديماً وحديثاً يختلفون في مكية أو مدنية السورة،
مما تولد عنه الاختلاف: من هم المصلون المذكورون
في السورة؟ وبالتالي ما هو السهو عن الصلاة؟.

فقد قيل في تفسير سورة الماعون^(٢٥): إنها مكية
كلها وإنّ "المصلين" هم المشركون؛ الذين غفلوا عن
"صلاتهم" وروحها كما غفلوا عن مقاصد الحج والطواف،
الذي كانوا يحجّونه ويطوفونه.

لكن الإشكال ظهر حين رجح البعض أن نصف
السورة مكي ونصفها مدني، ليخلص القائلون بهذا القول أن
"المصلين" في هذه السورة هم المنافقون المؤخرون
للصلاة.

وهذا غريب على منهجية القرآن في النزول؛ أن
تكون سورة قصيرة من سطرين نزلت في مكانين، وخلال
عقدين من السنين!!

وهذا التردد في تحديد مكيتها أو مدنيها كان منهجاً
عاماً عند المفسرين، قديماً وحديثاً، ولعل الماتريدي^(٢٦)

- وهو من جيل الطبري من جملة العلماء الذين مثلوا
هذا التردد؛ فقد قال: "... قال ابن عباس: هي مدنية،
وقال مقاتل ومجاهد وجماعة: هي مكية. وجائز أن
يكون أولها نزل بمكة، وآخرها نزل بالمدينة..."^(٢٧).

ومن الذين ترددوا ولم يقطعوا بمكية أو مدنية
السورة: الخازن^(٢٨)، والأندلسي^(٢٩)، وابن جزي^(٣٠)
والبيضاوي^(٣١)، والآلوسي^(٣٢)، وسيد طنطاوي^(٣٣)، وسيد
قطب^(٣٤)، والصابوني^(٣٥)، والطببائي^(٣٦)، وفضل
الله^(٣٧).

المطلب الثاني: الباعث على هذا التردد:

تردد المفسرين في القطع بمكيتها من مدنيها
باعثه هو تحديد المقصود من قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ﴾؛ هل هم المشركون المذكورون في بداية
السورة، أم هم المنافقون الذين كتموا الكفر وأظهروا
الصلاة، فكيف تكون السورة في المشركين، والله أثبت
لهم أنهم يصلون؟! فدفعهم ذلك للخوض إلى أن المصلين
هنا هم المنافقون، وبالتالي إلى مدنية القسم الثاني من
السورة!!.

وقد لمس الرازي هذه المشكلة، ولكنه لم يخرج من
دائرتها حين قال: "... واعلم أن هذا اللفظ^(٣٨) إنما
يستعمل عند الجريمة الشديدة كقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾
... الآية دالة على حصول التهديد العظيم بفعل ثلاثة
أمر أحدها: السهو عن الصلاة وثانيها: فعل المراءاة
وثالثها: منع الماعون، وكل ذلك من باب الذنوب، ولا
يصير المرء به منافقاً، فلم حكم الله بمثل هذا الوعيد على
فاعل هذه الأفعال؟ ولأجل هذا الإشكال ذكر المفسرون
فيه وجوهاً، أحدها: أن قولهم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي فويل
للمصلين من المنافقين الذين يأتون بهذه الأفعال...
وهذا الجواب هو المعتمد. وثانيها: ما رواه عطاء عن ابن
عباس أنه لو قال الله: في صلاتهم ساهون، لكان هذا
الوعيد في المؤمنين، لكنه قال: ﴿عَن صَدَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾
والساهي عن الصلاة هو الذي لا يتذكرها ويكون فارغاً
عنها، وهذا القول ضعيف... وثالثها: أن يكون معنى:

من يتصف بهذه الصفة كان من المناسب ذكرهم هنا بالجمع ... واختير في السورة وصفهم بالمصلين، بدل الكناية عنهم بالضمير، وكان الظاهر يقتضي أن يقال: فويل لهم، ولكن عدل عن هذا لبيان بعض أعمالهم ذوات المظهر الديني الموروث عن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، التي يعملونها رياء الناس، كالصلاة على ما ورثوا من دين إسماعيل التي خلطوا بها شركياتهم، وأعمالهم الجاهلية، وكالطواف حول البيت، والسعي بين الصفا والمروة^(٤٣).

وهذا هو الحق، والرأي السديتي فيما أرى والله در الأستاذ حبنكة فقد أصاب عين الصواب.

ومن الذين أكدوا أن المراد من المصلين في السورة هم الكفار الأستاذ محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى: التفسير الحديث^(٤٤).

أما الجمهرة المطلقة من المفسرين فيرون في قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أنها نزلت في المنافقين، وهم - أي المفسرون - على قسمين: مصرح بذلك، وملح قريب من التصريح.

أولاً: الفريق الذي صرح أنها في المنافقين:

مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ)^(٤٥)، والتستري (٢٨٣هـ)^(٤٦)، والطبري (٣١٠هـ)^(٤٧)، والماتريدي^(٤٨)، والهوارى^(٤٩)، والسمرقندي (٣٧٥هـ)^(٥٠)، والثعالبي (٤٢٧هـ)^(٥١)، والماوردي (٤٥٠هـ)^(٥٢)، والواحدي (٤٦٨هـ)^(٥٣)، والبيهقي (٥١٦هـ)^(٥٤)، والطبرسي (٥٤٨هـ)^(٥٥)، وابن الجوزي (٥٩٧هـ)^(٥٦)، والرازي (٦٠٦هـ)^(٥٧)، والعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)^(٥٨)، والنسفي (٧١٠هـ)^(٥٩)، والخازن (٧٢٥هـ)^(٦٠)، والقمي النيسابوري (٧٢٨هـ)^(٦١)، وأبو حيان (٧٥٤هـ)^(٦٢)، وابن كثير (٧٧٤هـ)^(٦٣)، والبقاعي (٨٨٥هـ)^(٦٤)، وابن عجيبة (١٢٢٤هـ)^(٦٥)، والشوكاني (١٢٥٠هـ)^(٦٦)، والقاسمي (١٣٢٢هـ)^(٦٧)، وسيد قطب (١٣٨٧هـ)^(٦٨)، والصابوني^(٦٩)، والزحيلي^(٧٠)، وسيد طنطاوي^(٧١).

﴿سَاهُونَ﴾ أي لا يتعهدون أوقات صلواتهم ولا شرائطها، ومعناه أنه لا يبالي، سواء صلى أو لم يصل، وهو قول سعد بن أبي وقاص ومسروق والحسن ومقاتل^(٣٩).

- مع ابن عباس في مكية السورة ومدنيتها:

المتتبع للأقوال المنسوبة إلى حبر الأمة الجليل ابن عباس في التفسير يجد العجب العجاب؛ إذ إن كثيراً منها فيه تناقض واضطراب، وقد يؤكد لنا استغرابنا من مصداقية ما نسبة الناس إلى ابن عباس وصحته ما قاله السيوطي: "... ورأيت عن فضائل الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن شاذان القطان أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث^(٤٠).

وهذا ما يفسر التناقض الوارد في الروايات عن ابن عباس رضي الله عنه في رأيه في مكية السورة ومدنيتها؛ يقول السيوطي: "سورة الماعون مكية، وآياتها سبع. بسم الله الرحمن الرحيم: الآية ٧ + ٧ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت "أرأيت الذي يكذب بمكة"، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله...^(٤١).

ففي هذه الرواية يقول ابن عباس: إن سورة الماعون مكية ... ولكن البيهقي يورد رواية عن ابن عباس يقول فيها ابن عباس: إن السورة مدنية؟! "... عن ابن عباس رضي الله عنه في: قوله عَلَيْهِمْ سَاهُونَ "أرأيت الذي يكذب بمكة" هم المنافقون؛ كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية؛ بغضة لهم وهي الماعون^(٤٢).

المطلب الثالث: اختلاف المفسرين في تفسير:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾:

قلة قليلة جداً من المفسرين هم الذين جعلوا السياق متناسقاً غير مبتور؛ فعدوا المعنى بالمصلين هم الكفار المذكورين في أول السورة؛ وفي ذلك يقول حبنكة: "تتابع السورة الحديث عن المشركين المكذبين بالدين، وبيوم الحساب، وفصل القضاء، وتنفيذ الجزاء عند رب العالمين، ولما كان المراد بالذي يكذب بيوم الدين كل

المدينة؛ الذي يبتز السياق ويقطع أوصاله، وهو ما وفق الله بتسميته: "مجموعة الأنساق المحددة لمكية سورة الماعون" (٨٨) وبالتالي المحددة لتفسير قوله تعالى: فويل للمصلين، وهو مدار ومحور هذا البحث، والعون والتسديد من الله ذي الطول الحميد المجيد.

المبحث الثالث

صفوة القول الذي أختار، وفق مجموعة الأنساق القرآنية التي تبين أو تعين معنى: ﴿وَلِلْمُصَلِّينَ﴾

بعد التأمل في السورة الكريمة، والاطلاع على أقوال المفسرين على اختلافهم في تفسيرها وتحديد نوعها كما فصلت في المبحث السابق، أعرض هنا في هذا المبحث صفوة القول الذي أختار من خلال مجموعة الأنساق القرآنية للسورة الكريمة، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مجموعة الأنساق التي تسرفي ضلالها سورة الماعون:

وقبل عرض الأنساق إجمالاً وتفصيلاً، أقول: إننا نتخذ من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهَا غَيْرَ تِلَا فِدْثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، منهاجاً ونبراساً نتبعه، ونعد هذه الآية ميزاناً نثبت بها الريانية، ونفد بها أي دعوى مضادة، ونقيس به كل ما ينسب من كتب تنتسب إلى الله، فما فيها من تحريف يظهر من خلال، ومن خلل: "الاختلاف" والتناقض.

أما الريانية فأحد أهم مجالها: التناسق والائتلاف، ومن هذا المنطلق ننطلق في البحث عن مجموعة "أنساق" نستعين بها في تفسير كلام الله، وإنك واجد من هذا الاطراد والانساق ما يشكل قاعدة ومنطقاً وضابطاً في التفسير أو للتفسير.

وهذا إن أصلناه أصلاً، وقعدناه قاعدة، وطبقناه منهاجاً شكلياً فيصلاً في كثير من مسائل الخلاف، وحل كثيراً من مشكلات القسیر المستعصية، وفض النزاع في

ثانياً: الفريق الذي قال بتلميح أقرب إلى التصريح: كأن يقول: إنهم المراؤون، أو أهل الرياء والسمعة، أو قريباً من ذلك، وهم في النهاية لا يختلفون مع أو عن الفريق الأول اللهم إلا في اللفظ ما بين: المنافقين تصريحاً أو المرانين بأعمالهم، أي: المنافقين تلميحاً ومن هؤلاء: القشيري (٤٦٥هـ) (٧٢)، والزمخشري (٥٣٨هـ) (٧٣)، وابن عطية (٥٤٢هـ) (٧٤)، وابن عربي (٦٣٨هـ) (٧٥)، والقرطبي (٦٧١هـ) (٧٦)، وابن جزي (٧٤١هـ) (٧٧)، والحبلي (٧٥٦هـ) (٧٨)، والبيضاوي (٧٩١هـ) (٧٩)، والثعالبي (٨٧٥هـ) (٨٠)، وابن عادل (٨٨٠هـ) (٨١)، وأبو السعود (٩٥١هـ) (٨٢)، وحقي (١١٢٧هـ) (٨٣)، والآلوسي (١٢٧٠هـ) (٨٤)، والشنقيطي (١٣٩٣هـ) (٨٥)، والطباطبائي (١٤٠١هـ) (٨٦).

ثالثاً: رأي متوسط بين هذه الآراء:

وقد نحا ابن عاشور نحىً متوسطاً وهو ما يمكن أن نسميه: الطريق الثالث في التفسير فوضع الاحتمالين: فإن كانت السورة مدنية فهم المنافقون وإن كانت مكية فهم الكفار، فقال: "... موقع الفاء صريح في اتصال ما بعدها بما قبلها من الكلام على معنى التفرع والترتب والتسبب. فيجاء على القول: إن السورة مكية ... فوصفهم بـ«المصلين» إذن تهكم، والمراد عدمه، أي الذين لا يصلون، أي ليسوا بمسلمين كقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ لَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤] وقرينة التهكم وصفهم بالـ«الذين هم عن صلاتهم ساهون».

وعلى القول بأنها مدنية أو أن هذه الآية وما بعدها منها مدنية يكون المراد (بالمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) المنافقين ... وعدي (سahون) بحرف (عن) لإفادة أنهم تجاوزوا إقامة صلاتهم وتركوها ولا علاقة لهذه الآية بأحكام السهو في الصلاة (٨٧).

والذي أريد أن أدلي به هو محاولة للترجيح بإذن الله عن طريق قرائن عديدة بضعف القول: إن نصف السورة قد نزل في مكة، ونصفها الآخر قد نزل في

ولئن صح مثل هذا القول في سورة مثل المزمّل -
 إذ قيل: إن الآية الأخيرة منها مدنية؛ لاختلاف الطول،
 ومنهج العرض، والموضوعات؛ فموضوع القتال يتعين أن
 يكون مدنياً ، لئن كان هذا القول بحق في تلك السورة
 متعيناً، فإنه هنا - في مثل هذه السورة - لا يكون متعيناً، بل
 لا نصيب له من الصحة، وإذا قطعنا الشك باليقين
 - وهو ما أسميته مجموعة الأنساق - نكون قد رجعنا إلى
 أصل المسألة، وأنّ نصاً كريماً قصيراً لا يتصور وفق
 النسق القرآني في النزول أن يكون هذا النص نزل في
 مكانين وزمانين!.

ولو جئنا نطبق القول بتعدد أماكن النزول وتباعد
 أزمنته على سورة الماعون؛ فهذا يعني أنا كنا نقرأ السورة
 في مكة على هذا النحو: ﴿أَيُّتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ *
 فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَاللَّاحِضَ عَلَى طَعَامِ
 الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون + 3]، وهل مثل هذا الأمر متصور؟؛
 ألا نلاحظ أنّ النص القرآني بهذا القدر منه، وهذا الجزء
 لم يطرح جزءاً..؟! وهذا بحد ذاته ليس من نسق القرآن
 وعادته، فإنّ من عادته أن يطرح الجزء على العمل^(٨٩).

وهل نتصور مثلاً سورة العصر تتشطر إلى
 شطرين؟! أو سورة الإخلاص أو المعونتين؟!، كل ذلك -
 فيما أرى - مستبعد... وهو كذلك بالنسبة لسورة
 الماعون، وما رآه القوم متعيناً نراه مستبعداً بشكل يكاد
 يكون بيناً، والبحث سيبيبه إن شاء الله.

النسق الثاني: موقع السورة في المصحف:

إنّ سورة الماعون جزءٌ من نسق بيتدئ من سورة
 الفيل إلى سورة النصر: ففي سورة الفيل يمتنّ الله ﷻ
 على قريش والعرب بما صنع بأصحاب الفيل وكيف
 حمى سبحانه بيته، ودمر ورد المعتدين.
 وقد فعل ذلك تفضلاً على قريش، وتأليفاً لهم،
 ولأجل تأليفهم أيضاً جعل رحلة الشتاء والصيف، وطلب
 من قريش في مقابل ذلك أن يعبدوا رب هذا البيت - الذي
 حماه سبحانه في السورة السابقة - ، هذا الإله العظيم هو
 الذي أطعم العرب وقريشاً من جوع، وآمنهم من خوف؛

اشتجار الأقوال في كثير من المسائل.

ومجمل الأنساق القرآنية في سورة الماعون كالتالي:

١. النسق الداخلي للسورة.
٢. موقع السورة في المصحف:
٣. الوحدة الموضوعية في السورة الكريمة.
٤. صيغة: "أرأيت" ومشتقاتها، وهي لم ترد إلا في
 المكي.
٥. الاستفهام في القرآن
٦. صيغة: "دع" ومادة: "دع ع".
٧. صيغتا: "يكذب بالدين" و"يوم الدين".
٨. مفردة اليتيم لم ترد إلا في المكي.
٩. صيغة: "قويل".
١٠. قريش يراعون، والشاهد: سقاية الحاج، وعمارة
 المسجد الحرام.
١١. صيغة: "يحض على طعام المسكين" مكية فحسب.
١٢. "قويل للمصلين". مجيئها فاصلة وجواز التوقف
 عليها.
١٣. النسق الحاسم، ورود لفظ الصلاة في سورة أخرى
 منسوبا ومضافا إلى المشركين.

والآن أبدأ في تفصيل ما أجملت من أنساق قرآنية
 وُقِّتْ إلى استنباطها من السورة الكريمة؛ فكانت مرشداً
 لي إلى إحقاق ما ظننته صواباً، والفضل كله لله، فما
 توفيقى إلا بالله تعالى. فأقول:

النسق الأول: النسق الداخلي للسورة:

ليس من معهود القرآن ولا من منهج تنزُّله، ولا من
 نسقه في النزول أن ينزل شطر سورة - هو سطر في
 الكتابة - في زمان ومكان، ثم ينزل شطرها الآخر - وهو
 سطر في الكتابة - أيضاً في مكان وزمان آخرين
 متباعدين!. : فهذا القول - بتباعد التنزل وتعدده - تحكم
 يؤدي بالتالي إلى تفسير يراه القوم متعيناً في معنى قوله
 تعالى ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ من سورة الماعون؛ فلا رواية
 تسند مثل هذا القول بتعدد أماكن النزول وأزمانه في
 سورة من سطرين.

مَا أَعْبُدُ (الكافرون: ٢، ٣)، والنتيجة: (كَمْ يَنْكُرُ لِي دِينَ) الكافرون: ٦؛ فعدّ ما هم عليه ديناً...، ثم تأتي سورة النصر التي تتحدث عن الفتح الأعظم، وتحريير البيت من كل عبادة شركية...، فتتويج المجموعة المكية كان بهذه السورة المدنية.

هذا النسق يحتم أن تكون السورة في هذا السياق وضمن هذه المجموعة لحمّة واحدة في منظومة تتحدث عن البيت والعبادة عند البيت، ومقابلة العطاء، إما بالمنع وبالجد، وإما بالعطاء والمنح والحمد... .

فمنظومة السور كلها مكية، وموضوعاتها متناسقة مترابطة ملتحمة، وتشكل هذه المنظومة نسقاً آخر ينضم إلى مجموعة الأنساق التي تتقوى ببعضها لتشكّل الدليل على القضية (محل البحث).

قال الألوسي: "ولما ذكر (سبحانه ﷻ) في سورة قريش: (لَعَمْرَهُمْ مِنْ جُوعٍ) قريش: ٤، ثم نكّر هنا من لم يحض على طعام المسكين، ولما قال -تعالى- هناك: (لِيُعْبُدُوا بِهَذَا الْبَيْتِ) قريش: ٣، ثم سبحانه هنا من سها عن صلاته، أو: لما عدّد سبحانه نعمه -تعالى- على قريش، وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع سبحانه امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء، وتخويفهم من عذابه"^(٩١).

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب: "في سورة الماعون توعد الله الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة(!)؛ لأنهم يكذبون بالدين، غير مؤمنين بالبعث والحساب، توعد الله هؤلاء بالويل والهلاك، وفي مقابل هذا جاءت سورة الكوثر تزف إلى سيد المؤمنين بالله واليوم الآخر هذا العطاء الجزيل، وذلك الفضل الكبير من ربه..."^(٩٢).

وكلام الأستاذ الخطيب متوجه مستقيم لولا تعبيره: (ولا يؤدون الزكاة)^(٩٣)؛ الذي يفهم منه مدنية السورة!!، وهذا موضع البحث أصلاً.

النسق الثالث: الوحدة الموضوعية في السورة الكريمة:

لا يعقل أن يكون أول السورة في الكافرين وآخرها في مناقفي المسلمين، وإن كانت كما زعموا: أن أولها مكي،

فجعل لهم حرماً آمناً، وأمن حرمة من العدوان الحبشي والفيل، وجعل أشهراً حرماً ليأمن الناس، وجعل البيت مثابة للناس وأمناً... في هذا السياق الممتن يُعجّبُ الله من سلوك الذين يكذبون بالدين، سواء أكان معنى الدين المنهج أو معناه الجزاء في الآخرة، وإن هذا التكذيب ينتج كنوداً في الخلق، وشحاً في الطبع، وجفاءً في المعاملة، فبدل أن يطعموا الذي يتضور جوعاً - كما أطعمهم الله من جوع؛ فإنهم لم يتحاضوا على طعام المسكين، وبدل أن يعبدوا رب البيت^(٩٤)؛ فإنهم أعرضوا عن عبادته، وسهوا عن صلاتهم، وراءوا في أعمالهم الناس، ولم يخلصوا دينهم وعملهم لله، ومنعوا عباد الله حقهم، بدل أن يشكروا عطاء الله بإعطاء عيال الله وعباد الله.

وفي مقابل المنع وما صنع المانعون في سورة الماعون، جاءت سورة الكوثر عطاء من جيد من الله، لكن هذه المرة خص به -أي بالعطاء النبي الكريم ﷺ، فقال له الله تعالى إنه أعطاه الكوثر، أي: الكثير المبارك من كل شيء، ومن كل خير في الدنيا والآخرة، وفي مقابل عطائي صلّ يا رسول الله لربك وانحر، أي: حج البيت.

فبدأت المجموعة بالإشارة إلى البيت في سورة كل موضوعها إنقاذ البيت، لكنها لم تصرح بذكره؛ لتدخر ذلك للسورة التالية: قريش، ثم لتأتي سورة الماعون تتحدث عن سلوك مجاوري البيت الذين لا يطعمون ولا يصلون، ثم انتقل السياق إلى عطاء الله للنبي، وطلب منه في مقابل العطاء أن يشكر... ومظهر الشكر: الصلاة وحج البيت.

فالجو كما ترى نسق بالفعل، إننا لم نفارق منطقة البيت، في تفنن شديد، وتصريح وتلميح...؛ وعطاء يقابل بالجد من قريش وإهمال الصلاة، وتظاهر بتعظيم البيت، وعطاء يقابل بالحمد من محمد ﷺ وإقامة الصلاة، وتعظيم حقيقي للبيت، لا كالذين يتظاهرون بعمارة البيت مراعاة للناس.

فإذا انتقلنا إلى السورة التالية: الكافرون، فإنها تأتي إعلان مفصلة: لا أَعْبُدُ مُتَعَبِدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ

- [هود: ٢٨، ٦٣، ٨٨].
٢٠. ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَانْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥].
- ٢١، ٢٢. ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْقِصَصُ﴾ [٧١، ٧٢].
٢٣. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَاءَ كُمْ﴾ [فاطر: ٤٠].
٢٤. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَتَدَّ عَوْنُ﴾ [الزمر: ٣٨].
٢٥. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [فصلت: ٥٣].
٢٦. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَتَدَّ عَوْنُ﴾ [الأحقاف: ٤].
٢٧. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠].
٢٨. ﴿أَرَأَيْتُمْ تَوَالَيْتُ﴾ [النجم: ١٩].
- ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢. ﴿أَرَأَيْتُمْ مَسْمُونُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْرُسُونَ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَفَرَأَيْتُمْ لَئِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُسَكِّبًا﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤] (٩٤).
- ٣٣، ٣٤. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي﴾ [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ] [الملك: ٢٨، ٣٠].
- فهذه صيغة الاستفهام (أرأيت) ومشتقاتها: أفأرأيت، أفأرأيتكم، أفأرأيتكم. إلخ، كلها تشكل نسقاً لا يشذ عنه شيء، فلماذا تكون سورة الماعون مدنية خارج النسق؟! وكل ما فيها يجزم بأنها مكية؟!، وكل الأنساق تسير باتساق في اتجاه إثبات قطعية مكية السورة، والبقية من الأنساق متواليّة متصلة.
- النسق الخامس: الاستفهام في القرآن:**
- والاستفهام نسق من أنساق فهم خير الكلام، وسورة الماعون التي فيها الآية موضوع البحث- أي: قوله تعالى ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ هي من سور الاستفهام، أعني: من السور التي فواتحها استفهام، أي: تنبئ به، مثل ﴿لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ألم، نر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل] [الفيل: هلا، لي على الإنسان حين من الدهر] [الإنسان: هل تلك حديث الغاشية] [الغاشية: ١]، ﴿حَمَّ يَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١].
- وبالاستقراء التام يتبين لنا نسق موحد ينتظم هذه السور جميعاً: فهي مكية كلها، و من المكي المبكر؛ فقصرها من ناحية، وقصر آياتها من ناحية، وجرسها وطريقة عرض موضوعها، كل ذلك- فيما أرى- يعين أو
- وأخرها مدني، فما يكون موقع الفاء؟!، وقد التقت كلمة المفسرين أن الفاء للتفريع، ولن نكثر الشواهد الآن، لكن نكتفي في هذه اللوحة بما قال العلامة ابن عاشور- رحمه الله في موقع الفاء في: "قويل" إذ يقول في سفره الماتع (التحرير والتنوير): "...مَوْقِعُ الْفَاعِدِ رِيحٌ فِي اتِّصَالِ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَى التَّفْرِيغِ وَالتَّرْتِيبِ السَّبَبِ، فَيَجِيءُ عَلَى الْقَوْلِ: أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ بِاجْتِمَاعِهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرُادُ بِالْمُصَلِّينَ عَيْنَ الْمُرَادِ بِالَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ...". ثم قال رحمه الله: "صَفَهُمُ بِالْمُصَلِّينَ" «إِنَّهُمْ كُمْ، وَالْمُرَادُ أَعْدَمُهُ، أَيِ الَّذِينَ لَا يُصَلُّونَ، أَيِ لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نَطْعُ لَهُمْ مَسْكِينٍ﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤] (٩٤).
- النسق الرابع: صيغة: (أرأيت) ومشتقاتها، وهي لم ترد إلا في المكي:**
- بالاستقراء التام لهذه الصيغة: "أرأيت" وما يمت إليها، وما يقاربها، نجد أنها لم ترد إلا في القرآن المكي، وهذه هي مرات ورود هذه الصيغة بالاستقراء:
١. ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَّلْنَا لِلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣].
 ٢. ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ يَكْفُرُ﴾ [مريم: ٧٧].
 ٣. ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].
 ٤. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ نِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥].
 ٥. ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].
 ٦. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَوَلَّى﴾ [النجم: ٣٣].
 ٧. ﴿أَرَأَيْتَ لِمَ يَنْهَى﴾ [العلق: ٩].
 ٨. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق: ١١].
 ٩. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبُوا تَوَلَّى﴾ [العلق: ١٣].
 ١٠. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ [الماعون: ١].
 ١١. ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي هَرَمَتْ عَلَيْهِ﴾ [الإسراء: ٦٢].
 - ١٢، ١٣. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤٧].
 ١٤. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُمَّ مَعَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦].
 ١٥. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ﴾ [يونس: ٥٠].
 ١٦. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَلَزَلِ اللَّهُ﴾ [يونس: ٥٩].
 - ١٧، ١٨، ١٩. ﴿هَلْ يَرَوْا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾

ووردت مرة واحدة قبل هذه السور مباشرة في الترتيب صيغة التصديق بيوم الدين في "المعارج"، وهي كذلك في سورة مكية، وإليكها **﴿الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** [المعارج: ٢٦]، بل إنني أضيف إلى هذا النسق نسفاً آخر: هو أن مصطلح يوم الدين لم يرد أصلاً إلا في القرآن المكي، وإليك مواطنه حسب الاستقراء الكامل:

١. **﴿الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** [الفتحة: ٤].
٢. **﴿وَبِئْسَ الْعَذَابُ الَّذِي لَكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾** [الحجر: ٣٥].
٣. **﴿قَالُوا يَا بَلَاءَ نُنَّا هَذَا بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** [الصافات: ٢٠].
٤. **﴿وَبِئْسَ الْعَذَابُ الَّذِي لَكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾** [ص: ٧٨].
٥. **﴿الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** [المعارج: ٢٦].
٦. **﴿كُنْتُمْ كَذَّابِينَ يَوْمَ الدِّينِ﴾** [المدثر: ٤٦].
٧. **﴿يَهْدِلُوْا نَهْيًا يَوْمَ الدِّينِ﴾** [الانفطار: ١٥].
٨. **﴿مَأْدَرُكَ مَيِّوْمَ الدِّينِ﴾** [الانفطار: ١٧].
٩. **﴿ثُمَّ مَأْدَرُكَ مَيِّوْمَ الدِّينِ﴾** [الانفطار: ١٨].
١٠. **﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** [المطففين: ١١].

تلك عشرة كاملة من المواطن في ثمان من السور، وكلها مكية، بل مكي، جلّه من المبكر- والله أعلم؛ فهذا نسق آخر ينضاف إلى بقية الأنساق ليستأنس بكل واحد منها، فإذا اجتمعت شكلت قناعة تامة أو قريباً منها بإذن الله.

النسق الثامن: مفردة اليتيم لم ترد إلا في المكي:

أقول: اليتيم واليتامى في النسق القرآني؛ لأن المسألة ليست مجرد وجود أو ورود في القرآن، وإنما هي- أو هو نسق بكل ما تعني كلمة نسق من معان؛ فإنني أرجح بعد الاستقراء أن اليتيم بالمفرد لم يرد قط في القرآن المدني، وأما اليتامى بالجمع، فلم يرد قط في القرآن المكي، وهذا نسق ومنطق علمي وعملي ومنهجي، وواقعية كذلك؛ ذلك أن اليتيم في مكة، والإحسان إلى اليتيم أو دعه، عمل فردي، وقد ينبئ عن ثقافة جاهلية...، أما اليتامى فظاهرة اجتماعية، وقد نشأ قسم كبير من هذه الظاهرة من أو عن الجهاد؛ فأن يستشهد في غزوة أحد وحدها سبعون من الأصحاب، هذا شيء ليس

يبين ما قلت من تقدم نزولها، وهي وإن لم تكن متعينة تقدم النزول؛ فالحق الذي لا يقبل المراء أنها مكية، ولئن نوزع في رأيك... فإننا بالرجوع إلى مجموعة الأنساق نستطيع أن نحسم هذا الخلاف: فالاستفهام كما أسلفت واحد من هذه الأنساق، وهو متجل في القرآن المكي، وهذا منسجم متسق مع المرحلة؛ فهي مرحلة تحتاج إلى هز جامد العقل، وتحريك ساكنه... .

النسق السادس: صيغة يدع ومادة دع ع:

ومن الأنساق اللطيفة التي تزيد الأمر وضوحاً، وتدحض الزعم المخالف دحضاً أو دحوضاً، وهي التي في مجموعها متضافرة متضامنة- بعد تناولها منفردة تشكل نهراً معرفياً نستطيع معه الوصول إلى الجزم والقطع واليقين بالقضية موضوع البحث، والقضية هي مكية سورة الماعون، ومكية الآية الكريمة منها، وهي قول الحق تبارك وتعالى: "قويل للمصلين"، أقول هذا وبالله التوفيق، وعليه التكلان.

إن مادة "د ع ع" كنسق من أنساق السورة، لم ترد إلا في المكي من القرآن؛ فقد وردت مرتين في سورة واحدة هي الطور، في آية واحدة منها، وهي: **﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً﴾** [الطور: ١٣]، أما الموطن الثالث فهو سورتنا الكريمة موضوع البحث الماعون، وذلك قوله جل شأنه: **﴿أَيُّتِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْيَمِينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾** [الماعون: ١، ٢].

النسق السابع: صيغتا: **﴿يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ﴾** و**﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾**:

وهذا نسق آخر يدفع ويرد ما ذهبوا إليه؛ فقد وردت صيغة يكذب بالدين ومقارباتها عدة مرات في القرآن الكريم، كلها مكية، وهذه هي بالاستقراء التام كما وردت في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن:

١. **﴿كُنْتُمْ كَذَّابِينَ يَوْمَ الدِّينِ﴾** [المدثر: ٤٦].
٢. **﴿بَلْ تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾** [الانفطار: ٩].
٣. **﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** [المطففين: ١١].
٤. **﴿فَمُكْذِبُكَ بِعِبَادِ الدِّينِ﴾** [التين: ٧].
٥. **﴿أَيُّتِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ﴾** [الماعون: ١].

٦. ﴿وَرِن خَفْتُمْ أَلَا تَقْسِدُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٣].
 ٧. ﴿ابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٦].
 ٨. ﴿أُولَئِكَ يَرْبُوا الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٨].
 ٩. ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مَوْلَى الْيَتَامَى﴾ [النساء: ١٠].
 ١٠. ﴿بِذِي الْقُرْبَى الْيَتَامَى الْمَسَاكِينَ﴾ [النساء: ٣٦].
 ١١. ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٧].
 ١٢. ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧].
 ١٣. ﴿لِذِي الْقُرْبَى الْيَتَامَى الْمَسَاكِينَ﴾ [الأنفال: ٤١].
 ١٤. ﴿لِذِي الْقُرْبَى الْيَتَامَى الْمَسَاكِينَ﴾ [الحشر: ٧].

وبعد هذا البيان والبرهان هل يستطيع متأمل في القرآن أن يدع هذه المنهجية المطردة، ويترك هذا النسق المتناغم الحاسم فيما أرى ليتبع الظن الذي لا يغني عن الحق ولا من الحق شيئاً؟! أليس هذا الاستقراء جازماً في تعيين التفسير بالاتجاه الذي نشير إليه؟! فكيف إذا انضم إليه باقي الأنساق؟!.

النسق التاسع: صيغة ﴿يَلٌ﴾:

وردت مفردة ويل: (٢٧) مرة، وويلتى: ٣ مرات، وويلتنا: مرة، وويلك مرة و ويلكم: مرتين، و ويلنا (٦) مرات؛ فمجموع المرات (٤٠) مرة، وإذا استثنينا سورتي البقرة^(٩٧) والمائدة، فإن كل صيغ هذه المادة لم ترد إلا في القرآن المكي، وهذه هي السور المشتملة على هذه المادة: إبراهيم، مريم، الأنبياء، ص، فصلت، الزخرف، الجاثية، الذاريات، الطور، المرسلات (١٠) مرات، المطففين، الهمة، الماعون، هود، الفرقان، الكهف، الأحقاف، طه، القصص، الأنبياء، يس، الصافات، القلم.

فالأصل في ورود هذه المادة أنها في القرآن المكي، وهي تعزز عندنا وفق الأنساق القرآنية المتعددة مكية السورة.

النسق العاشر: قريش يرعون:

قوله تعالى: ﴿يُرْعُونَ﴾ [الماعون: ٦] ليس متعيناً أن يكون في المنافقين؛ وقد قال الله للمؤمنين ألا يكونوا كالعرب المشركين والقرشيين منهم بالخصوص في موضوع الرياء، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا الَّذِينَ يَنْدَرُ جُؤَامِنُ﴾

بالهين؛ فقد ترك هؤلاء وراءهم ما لا يقل عن مائتي يتيم في وقعة واحدة؛ فاليتيم ظاهرة اجتماعية في مجتمع المدينة القائم على الجهاد ونشر الدعوة، وحماية المجتمع والدين والدولة والأمة من كل العاديات، وهذا يقتضي أشد التضحيات.

ومعالجة هذه الظاهرة أيضاً ظاهرة اجتماعية مؤسسية يرعاها المجتمع المدني ومؤسسات المجتمع المدني^(٩٥).

والآن إلى استقراء لفظ اليتيم وموارده في القرآن الكريم: ورد اليتيم: ٥ مرات، وبيتماً ٣ مرات، وبيمين: مرة واحدة، وهي كالتالي:

١. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]^(٩٦).

٢. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

٣. ﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧].

٤. ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

٥. ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢].

٦. ﴿وَلَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى دُبِّهِ مِسْكِينًا يَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

٧. ﴿يَتِيمًا نَلَقَرُ بِهِ﴾ [البلد: ١٥].

٨. ﴿الْمَجْدُوكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦].

٩. ﴿أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٢].

فهذه تسع مرات كلها مكية، والله الموفق.

أما لفظ اليتامى فقد ورد في (١٤) موضعاً (٤) منها في البقرة، وضعفها في سورة المستضعفين سورة النساء، ويبقى مرة في الأنفال، ومثلها في الحشر، وتقصيل ذلك كما يلي:

١. ﴿ذِي الْقُرْبَى الْيَتَامَى الْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: ٨٣].

٢. ﴿وَالْقُرْبَى الْيَتَامَى الْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣. ﴿قُرْبَى بَيْنَ الْيَتَامَى الْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

٤. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٥. ﴿آتُوا الْيَتَامَى لَهُمْ﴾ [النساء: ٢].

وتضيف الدكتورة عائشة "... يؤدون الصلاة ولكنهم ساهون عن صلاتهم غافلون عن كونها قياماً بين يدي الخالق، يكبح غرور الإنسان، ويأخذه بالخشوع والتواضع أمام جلال خالقه وعظمته وقدرته، ويرهف نفسه اللوامة ... وحين لا تؤدي الصلاة غايتها من النهي عن الفحشاء والمنكر فإنها تعود بذلك طوقساً شكلياً، وحركات آلية مجردة عن معناها وحكمتها"^(٩٨).

النسق الحادي عشر: مادة "حضض" نسق آخر:

وهذا نسق آخر نستعين به، ونستأنس في القول بمكية السورة؛ فقد وردت هذه المادة ثلاث مرات، ثنتان منها في سورتين، مقطوع بمكيتيها المبكرة، والثالثة هي التي حام حول مكيتها طيف شبيهة، أعني سورة الماعون طبعاً، ومثل هذه القرائن نقشعها وتجلي مثل هذا عن وجه القضية، وتجزم مع الأنساق والقرائن الأخرى بمكية السورة. أما المواطن فهي:

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿الحاقة: ٣٤﴾.

٤ ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣].

وَلَا تَنَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿الفجر: ١٨﴾.

والملاحظ أن النص في السورتين: الحاقة والماعون جاء متحداً.

وابتني لأذهب أبعد من هذا: أن الماعون هي الأسبق في النزول، وهذا دأب قرآني آخر: أنه يؤخر في ترتيب المصحف - عادة وعلى الغالب الأعم - ما تقدم في ترتيب النزول.

فسورة "ن" مثلاً هي أول سور الحروف المقطعة نزولاً وآخرها ترتيبياً، وسورة العصر: أول سور القسم نزولاً، وآخرها ترتيبياً، وسورة الأعلى: أول المسبحات نزولاً وآخرها ترتيبياً.

وعلى ذات الخط والخطى نسلك سورة الماعون.

النسق الثاني عشر: صيغة "سها" لم ترد إلا في القرآن المكي، وفي السهو عن اليوم الآخر.

فالسهو عن الصلاة هو السهو عن الآخرة، سهو عن الحساب، سهو عن يوم الدين، يوم الجزاء ﴿قُلْ

دِيَارِهِمْ بِطَرَفِ رِئَاءِ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وكانوا يحرصون على مظاهر تعظيم البيت وعمارته، والحج إليه، والطواف به، ومن هنا قالت سورة براءة: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الْمُشَاهِدِينَ عَلَىٰ نَفْسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وقالت السورة عنهم: ﴿لَعَلَّمْ سَفِيهَةَ الْحَاجِّ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِذُرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الْيَوْمَ لِأَنْ خَرَّ جَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [براءة: ١٩]، و: ﴿تَمَلَّكُمُشْرِكُونَ جَسَّ فَلَاقِرًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقد فرض المفسرون فرضاً وبنوا عليه معانياً، فعدوا المراءة مقتصرة على المنافقين، واستنتج المشركون من ذلك، مع أن التناسق والتوافق يقول غير ذلك؛ فعدد مرات ذكر المراءة في القرآن تتكلم عن المشركين أيضاً. نقول الدكتورة عائشة بنت الشاطي: "... والمراءة في العربية أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن... وإين شاع في المجال الديني تخصيص النفاق بمن يكتم الكفر ويظهر الإسلام، وإطلاق الرياء عاماً في التظاهر بالإيمان وبالصلاح والبر وإضمار نقيضها، وهو ما يؤنس إليه استعمال القرآن للرياء والمراءة في الآيات الخمس:

— ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْيَوْمَ لِأَنْ خَرَّ...﴾ [البقرة: ٢٦٤].

— ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ مَوَالِيَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

— ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ إِخَادِعُونَ اللَّهُ إِخَادِعَهُمْ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالِيرٍ ءَاعُونَ النَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

— ﴿وَلَا تَكُونُوا الَّذِينَ خَرُّوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَفِ رِئَاءِ النَّاسِ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَعْمَلُولٍ مُدْبِطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].

— ﴿آيَاتِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّمَنِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَيَلْحِضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * ثَوِيْلًا لِلْمَصْلِينِ * الَّذِينَ هُمْ عَنْهُمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧ +].

الخاتمة:

ينبغي للباحث في كتاب الله مراعاة الضوابط لفهم كتاب الله، ولا يجوز الغفلة عن أي منها، بل يجب أن تكون الرائد الحادي في الفهم الصحيح لكتاب الله ﷻ، وأن تكون عاملاً مرجحاً حين تتداخل آراء العلماء في مسائل التفسير .

ومن هذه الضوابط وعلى رأسها وأولها تفسير القرآن بالقرآن والسنة الصحيحة الصريحة، واللغة.

ومن الضوابط الحاسمة في التفسير المعينة على الفهم والتدبر: تناغم السياق القرآني واللحمة الموضوعية في السورة القرآنية؛ فإن تقطيع أوصال السورة يشتمل الفهم ويعزز الاختلاف المذموم.

وكانت سورة الماعون إحدى السور التي لم تحظ بمراعاة للسياق في تفسيرها، ما أدى إلى وجود آراء في تفسيرها ونزولها ناشئة عن الفهم الصحيح للسورة ومكان نزولها، بالتالي بيانها ومقاصدها .

لذا كان لزاماً على من يتعامل مع هذا الكتاب العظيم أن يعطي المنهجية في التفسير غاية في الأهمية، ومن ضمن أهم معالم المنهجية: الأنساق القرآنية؛ فهي تحدد القضايا، وتحل الإشكالات، وتحسم النزاع في المسائل التي احتدم فيها الخلاف بين المفسرين .

وقد خلصت من دراستي هذه إلى ما يأتي:

(١) لكل سورة مجموعة من الأنساق علينا اكتشافها، والتفسير في ضوء هذه الأنساق .

(٢) السياق والتناغم في سورة الماعون يبين أنها مكية النزول .

(٣) المقصود بالمصلين في السورة هم الكافرون من أهل قريش؛ فالمراءة في العربية أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن . . . وإن شاع في المجال الديني تخصيص النفاق بمن يكتم الكفر ويظهر الإسلام .

٤﴿قَوْلُ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ هم المشركون الذين إن صلوا أصلاً صلوا بحركات فارغة، وهم في غفلة عن غاياتها .

والله أعلم وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ
أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿الذاريات: ٤٠ + ١٢﴾. ﴿لَرَأَيْتَ الَّذِي
يُكَبِّ بِالدِّينِ ... الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾
[الماعون: ٥].

فالسهو هنا وهناك هو السهو عن الآخرة، والغفلة عن الحساب ومقاصد العبادات والقربات .

النسق الثالث عشر ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ مجيئها فاصلة وجواز التوقف عليها:

ومما نستأنس به فيما نحن بصدد من إثبات مكية السورة، وهو ما عليه تحديد معنى ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ بصورة تستبعد إرادة المنافقين، وتعين أنها للمشركين . أقول مما نستأنس به، ورود المصلين رأس آية، وجواز التوقف عند رأس الآية. فإذا كان المراد بها الكافرين فإن الوقف تام والمعنى سليم كامل، لأن الويل هنا لهذا الصنف من المصلين من الكافرين المتمظهرين بمظهر الدين، وهم في الحقيقة ساهون عن رأس الدين كله، ويكذبون بالدين، وبالجزاء في يوم الدين .

النسق الرابع عشر: النسق الحاسم، ورود لفظ الصلاة في سورة أخرى منسوبا ومضافا إلى المشركين:

وذلك في سورة الأنفال في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾^(٩٩). وخير مفسر للقرآن القرآن، كما هو مقرر، فلئن كان النص الكريم في سورة الماعون، أعني " للمصلين " متشابهاً، ومشتبهاً في الكافرين المشركين والمنافقين، فإن ورود لفظ الصلاة في الأنفال مضافاً إلى المشركين أعداه نسقاً حاسماً في المسألة وفيصلاً في الخلاف، مع باقي الأنساق التي ذكرناها .

وبهذا- فيما أرجح- نكون قد رجحنا التفسير المتعين لآية: "قويل للمصلين" وهو أن المصلين هنا هم المشركون الذين يتهددهم الويل لأنهم: إما لا يصلون أصلاً إلا الحركات التي سماها القرآن: مكاءً وتصدية^(١٠٠) أو يصلون مع السهو المطلق عن روح الصلاة، وأنها عبودية لله، لا طقوس شكلية.

الهوامش:

جلودها وأصوافها وأوبارها؛ لأنّ الجو هناك كان جو أكنان وبيوت وسرابيل فناسب أن يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد. . . وذلك أفق من آفاق التناسق الفني في القرآن، ج٤، ص٢١٨٢، وتفسيره حاشد بأمثلة على ذلك وقد جعل لموضوع "التناسق" فصلاً خاصاً في (التصوير الفني)، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ط٨، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٨٧ - ١٤٢. وتحدث في (الظلال) عن الوحدة الموضوعية في السورة، وشخصيتها المتميزة.

(١٠) والتناسق فن معتبر ومقدر في كثير من العلوم والفنون" ... وفكرة النسق نمت وتطورت في مجموعة من العلوم: مثل العلوم العسكرية، والمعلوماتية ...، ثم اكتسحت العلوم الإنسانية، وعلم النفس والتاريخ وإدارة الأعمال، والتجارة ...، ويات الأمر يستوجب استثمار النسق في الأبحاث الأدبية" من مجلة نوافذ، عدد صفر، ١٤٣٠هـ، شباط ٢٠٠٩م، نقلًا عن "كليمان موازون" في مقال له بعنوان: ما هو التاريخ الأدبي؟ ١٩٨٧م.

(١١) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج٣، ص٧٩٢، ويشار إليه (طنطاوي، التفسير الوسيط).

(١٢) راجع للتفاصيل ما يلي: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ط١، ص٦٣٠. ومحمد ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، (ط١)، ج٢، ص١٢٧؛ ومحمد يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ / ١٤١٥م) القاموس المحيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ط١، ج٢، ص١٢٢٦؛ قلت: وقد وردت "تسق" بمعانيها في قوله تعالى ﴿فَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ٨] اتسق، أي اجتمع واستوى وتكامل نوره وأبدر؛ راجع إسماعيل بن كثير المشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، مؤسسة الريان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، (ط١)، ج٤، ص٦٣٠،

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصري، ظلم دون ظلم، رقم ٣٢، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عصام الحرساني، ومحمد شكور، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص٤٤ - ٤٥.

(٣) الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤) طارق مصطفى محمد حميدة، التناصب في سورة البقرة، ص٤٢ قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، عمادة الدراسات العليا، جامعة القدس، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

(٥) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، ج٧، ص١٠٥.

(٦) سيد قطب إبراهيم (١٩٠٦ + ١٩٦٦م): مصري، ولد واستشهد فيها، حفظ القرآن منذ صغره، أديب ومفكر، من كتبه: "معالم في الطريق" "العدالة الاجتماعية في الإسلام" "هذا الدين"، "المستقبل لهذا الدين"، "النقد الأدبي أصوله ومناهجه" وغيرها.

(٧) أي النبي ﷺ يتحدث عن نفسه.

(٨) يقصد قوله تعالَى: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا اللَّهُ وَاللَّهُ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثِرَ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ، ج٣، ص١٧٩٧. وانظر أيضاً: حين نكلم رحمه الله عن التناسق في آيات سورة النحل من الآية ٦٨ - ٨٢ وكيف عرض رحمه الله للتناسق بين الآيات وكيف ذكر الله النعم متناسقة مع جو السياق تماماً؛ فلما كان الجو جو أشربة عرض من الأنعام لينها وحده في هذا المجال تنسيقاً لمفردات المشهد كله. و عرض في الآيات الأخرى بعدها من الأنعام

- ويشار إليه (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم).
- (١٣) سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ/١٩٦٦م)، النقد الأدبي، القاهرة، دار الفكر العربي ص ٤٣؛ صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، عمان، دار الفرقان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ط ١، ص ٨٨، ويشار إليه (الخالدي، نظرية التصوير الفني).
- (١٤) سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ/١٩٦٦م)، التصوير الفني في القرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ط ٨، ص ٨٧، ويشار إليه (سيد، التصوير الفني)؛ والخالدي، نظرية التصوير الفني، ص ٨٨.
- (١٥) سيد، التصوير الفني، ص ١٤٢، ولمزيد من التفاصيل: سيد، التصوير الفني، ص ٨٧، ٨٨؛ والخالدي، نظرية التصوير الفني، ص ٨٨، ٨٩.
- (١٦) الأمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الإحكام في أصول الأحكام، القاعدة الرابعة: في الترجمات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، ج ٣ ص ٣٦.
- (١٧) أقصد: سوى المعروف؛ الماعون؛ فهو يفترض أنه من تعليم النبي ﷺ وتوقيفه، وإن لم يرد نص محدد.
- (١٨) ينظر المصحف المخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم: (١/٣٤٦) والمصحف المخطوط بمكتبة التراث العمانية رقم (٢٨/٥٨) خاص) عن كتاب الدكتور عبد الله ابن سالم الهنائي، أسماء سور القرآن الكريم، الأجيال، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٤٣.
- (١٩) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ١٤، ص ٤٦٨ تحقيق: مصطفى السيد وآخرين (ت ٧٧٤).
- مؤسسة قرطبة. ، وانظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ٢٩، ص ٧٢٨.
- (٢٠) عنون لها القشيري في لطائف الإشارات باسم: "الدين"، القشيري، لطائف الإشارات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠، ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ٤٥٣.
- (٢١) وهو ما لا يقبل عقلاً ولا يستحسن ذوقاً.
- (٢٢) انظر التفصيل في: الدكتور عبد الله بن سالم الهنائي، أسماء سور القرآن الكريم، الأجيال، ط ١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٤٣.
- (٢٣) (ابن الضريس) (٤٠٠ ٢٩٤هـ/٩٠٦ م)، محمد
- ابن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي، أبو عبد الله: من حفاظ الحديث. مات بالري. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ابن الضريس، دار العلم للملايين، ج ٦، ص ٤٦.
- (٢٤) الحافظ أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي، فضائل القرآن، باب فيما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة، رقم ١٧.
- وهكذا عنون لها الطبري، ج ٢٤، ص ٦٥٧.
- والزمخشري، ص ١٢٢٣، جزء واحد دار المعرفة، بيروت، وانظر المرجع السابق: "... عن ابن عباس، قال: «أول ما نزل من القرآن بمكة... وكان أول ما أنزل من القرآن: بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، ثم ﴿وَالْقَلَمِ﴾، ثم ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ثم الفاتحة، ثم ﴿يَا أَيُّهَا لَهْبٍ وَتَبَّ﴾، ﴿إِذْ نُنزِّلُ الْإِسْرَاءَ كَوْرَتٍ مَبْنُوعَةٍ﴾ (سَمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، ﴿ثُمَّ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾، ثم ﴿لِفَجْرِ وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾، ثم ﴿الضُّحَى﴾ المخبَّر ح لَكَ صَدْرُكَ، ثم ﴿وَالْعَصْرِ﴾، ثم العاديات ضريحاً، ثم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ثم ﴿لَهُ أَكْثَرُ﴾، ثم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي يَكْدُبُ بِالذِّينِ﴾ "... وانظر أيضاً: الزركشي في البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، فقد سماها كذلك بهذا الاسم، ج ١، ص ١٩٣. والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج ١، ص ٤٢.
- (٢٥) سيأتي تفصيل القائلين بالرأين بعد قليل.
- (٢٦) الماتريدي: هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، وإليه تنسب الماتريديّة، من آثاره: تأويلات أهل السنة في تفسير القرآن.
- (٢٧) الماتريدي، التأويلات، ج ١، ص ٦٢٢.
- (٢٨) الخازن، لُباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٤٧٨ وهو علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد ابن إبراهيم بن عمر بن خليل الشحي. البغدادي، الشافعي، الصوفي، المعروف بالخازن. اشتهر بذلك

- (٤٢) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، باب في إخلاص العمل لله عز و جل وترك الرياء، برقم: ٦٨٥٣، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠.
- (٤٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **معارج التدبير وبقائق التفكير**، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ط١، ج١، ص٦٩٣.
- (٤٤) محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م، ج١، ص١٨٣. لاحظ أن التفسيرين القائلين هذا القول هما اللذان يفسران سور القرآن وفق النزول لا وفق ترتيب المصحف، ونحن نخالفهم في ذلك النهج، ونقرهم في تفسير السورة، وتفسير: فويل للمصلين، وأنها في المشركين.
- (٤٥) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ط١، ج٣ ص٥٢٧.
- (٤٦) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة ٣٨٣، **تفسير التستري سورة الماعون**.
- (٤٧) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (٤٢٤ - ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- (٤٨) أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ت ٣٣٣ هـ)، **تفسير الماتريدي "المسمى: تأويلات أهل السنة"**.
- (٤٩) هود بن محكم الهواري، قاضي الإباضية في قبيلة (هواره) البربرية في الجزائر، (ت ٣٨٠هـ). هذا التفسير مختصر من تفسير الإمام يحيى بن سلام رحمه الله وتفسير يحيى من التفاسير الأثرية؛ حيث يعتني برواية الأحاديث والآثار في تفسير القرآن، ثم يعقب ذلك بالنقد والاختيار، ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي، وأضاف يحيى بن سلام إلى ذلك بعض القراءات واللغات، وذكر المكي والمدني من الآيات، وذكر الناسخ والمنسوخ. انظر: **مجلة البيان**، عدد ١٨٨، ص١٠٨.
- (٥٠) أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه
- لأنه كان خازن كتب خانقاه السيمساطية بدمشق. وُلد ببغداد سنة ٦٧٨هـ، انظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون** الفصل الثالث، أهم كتب التفسير بالرأي.
- (٢٩) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط١، ج١، ص٥١٧/٨.
- (٣٠) القاسم ابن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى (٧٤١ هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل** ج٣، ص٣٦٣ سورة الماعون.
- (٣١) القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ط١، ج٢ ص٦٢٥.
- (٣٢) محمود الألوسي، **روح المعاني**، ج٣٠ ص٢٤١.
- (٣٣) محمد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج٢٩، ص٧٢٨.
- (٣٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن** ج٦، ص٣٩٨٤.
- (٣٥) محمد علي الصابوني، **قيس من نور القرآن**، دار السلام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ج١٦، ص٣٦٥ وما بعدها.
- (٣٦) محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١هـ/١٩٨١م) **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت، الأعلى للمنشورات، ١٣٩٤هـ، ١٩٨١م، ج٢٠، ص٥١٨.
- (٣٧) محمد حسين فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٢٤، ص٤٣٧.
- (٣٨) أي: "ويل".
- (٣٩) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي**، دار إحياء التراث العربي، ج٣٢/٣٠٧ ص٣٠٧. قلت الرازي مصرّ على أن السورة مدنية وأنها في المنافقين، وهذا قوله، ولازم قوله.
- (٤٠) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٤، ص٢٣٩.
- (٤١) السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣، ج٨، ص٦٤٨.

- الحنفي، بحر العلوم، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي، ج ٣ ص ٦٠٠.
- (٥١) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢/هـ، الطبعة الأولى، ج ١٠، ص ٣٠٤.
- (٥٢) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ٦، ص ٣١٥.
- (٥٣) علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن (ت ٤٦٨هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، سورة الماعون، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ.
- (٥٤) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل**، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧/هـ، ١٩٩٧م، ط ٤، ج ٨، ص ٥٥٢.
- (٥٥) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أكابر علماء الأمامية)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج ٦، ص ٢٤٨.
- (٥٦) الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٩٧هـ)، **المكتب الإسلامي**، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ط ٣، ج ٩، ص ٢٤٤.
- (٥٧) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ١١، ص ٣٠٣.
- (٥٨) الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي دمشقي، الشافعي، **تفسير القرآن** (اختصار النكت والعيون)، تقديم وتحقيق: د. عبد الله ابن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦/هـ، ١٩٩٦م، ط ١، ج ٣، ص ٤٩٤.
- (٥٩) عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، سورة الماعون، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت.
- (٦٠) أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيجي،
- لباب التأويل في معاني التنزيل، عناية: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ط ١، ج ٤، ص ٤٧٨.
- (٦١) نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، **غرائب القرآن و رغائب الفرقان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٦، ص ٥٧٣.
- (٦٢) العلامة أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٤٢٢/هـ، ٢٠٠١م، ط ١، ج ٨، ص ٥١٧.
- (٦٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠/هـ، ١٩٩٩م، ط ٢، ج ٨، ص ٤٣٩.
- (٦٤) الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤/هـ، ٢٠٠٣م، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤٨.
- (٦٥) ابن عجيبة الحسني، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣/هـ، ٢٠٠٢م، ط ١، ج ٨، ص ٣٩٨٤.
- (٦٦) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، سورة الماعون، دار الفكر بيروت، ج ٥، ص ٧١١.
- (٦٧) علامة الشام، محمد جمال الدين القاسمي، **تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٥/هـ، ١٩٩٤م، ط ١، ج ٧، ص ٣٩٦.
- (٦٨) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق الطبعة السادسة عشرة، ج ٦، ص ٣٩٨٤.
- (٦٩) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٦م، ط ١، ج ٣، ص ١٤٤٥.
- (٧٠) د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في**

- العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، ج٣٠، ص٤٢١.
- (٧١) د. محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، سورة الماعون، مراجعة: عبد الرحمن العدوي، دار المعارف.
- (٧٢) الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، القشيري النيسابوري الشافعي، **تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات**، عناية: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ط١، ج٣، ص٤٥٣.
- (٧٣) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص٨٠٨.
- (٧٤) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١٥، ص٥٧٨.
- (٧٥) أبو بكر محيي الدين محمد بن علي الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي، **تفسير القرآن الكريم**، عناية الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط١، ج٢، ص٤٣٣.
- (٧٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ط٢، ج٢٢، ص٥١١.
- (٧٧) أبو عبد الله محمد المدعو بالقاسم بن أحمد بن محمد ابن جزري الكلبى، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وآخرين، دار الكتب الحديثة، بلا تاريخ، ج٤، ص٤٣٤.
- (٧٨) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين، **الدر المصون في علم الكتاب المكنون**، سورة الماعون، تحقيق الدكتور أحمد خياط، دار القلم، دمشق.
- (٧٩) القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن
- محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ط١، ج٢، ص٦٢٥.
- (٨٠) الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عناية: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ط١، ج٣، ص٥٢٥.
- (٨١) أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١، ج٢٠، ص٥١٤.
- (٨٢) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، عناية: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ط١، ج٦، ص٤٧٥.
- (٨٣) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، **المولى أبو الفداء، روح البيان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، ج١٠، ص٥٢١.
- (٨٤) محمود الألوسي أبو الفضل، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج٤٩، ص٣٠، ٦٥٧.
- (٨٥) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٩، ص١١٦.
- (٨٦) الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج٢٠، ص٥١٨.
- (٨٧) ابن عاشور، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤هـ.
- (٨٨) سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.
- (٨٩) قال الألوسي: الفاء جزائية، والكلام ترق، من ذلك المعروف إلى معرف أقوى...، على معنى: إذا علم أن حالهم قبيح فويل لهم، فوضع المصلين موضع الضمير، دلالة على أنهم مع الاتصاف بالتكذيب، متصفون بهذه الأشياء أيضاً...، وبعضهم جعل الفاء

- للسببية، وهذا الوجه يقتضي اتحاد المصلين والمكذبين
 "... انظر: محمود الألوسي، روح المعاني، ج ٣٠،
 ص ٦٥٨.
- (٩٠) ربط صاحب تفسير "حدائق الروح والريحان" بين عبادة
 رب البيت في سورة قريش، "فليعبدوا رب هذا البيت"
 وبين السهو عن الصلاة في الماعون، فالمجرم واحد،
 انظر: محمد الأمين الهرري الشافعي في تفسيره:
 حدائق الروح والريحان، إشراف د. هاشم مهدي، دار
 طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ط ١، مجلد
 ٣٢، ص ٣٦١.
- (٩١) انظر: محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، روح المعاني، دار
 الفكر، بيروت، ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج ١٠،
 ص ٣٠٩. وانظر: البقاعي برهان الدين أبي الحسن
 إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب
 الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي،
 دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ٨،
 ص ٥٤١. وسعيد حوى: الأساس في التفسير، ج ١١،
 ص ٦٦٩٩.
- (٩٢) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج ٣٠،
 ص ١٦٨٩.
- (٩٣) فقد فرض الله الزكاة بعد الهجرة، وما ذكر من الحث
 على الزكاة في مكة فهو لا يخلو من الحث والحض
 على الاستعلاء على شهوة الحرص على المال من
 جهة، والتهيئة والتدريب على الزكاة القادم فرضها في
 المدينة من جهة أخرى. يقول ابن عاشور في التحرير
 والتنوير: "... وتسمية ما يعطونه من أموالهم من
 الصدقات باسم {حق} للإشارة إلى أنهم جعلوا السائل
 والمحروم كالشركاء لهم في أموالهم من فرط رغبتهم
 في مواساة إخوانهم إذ لم تكن الصدقة يومئذ واجبة ولم
 تكن الزكاة قد فرضت.
- ومعنى كون الحق معلوماً أنه يعلمه كل واحد منهم
 ويحسبونه، ويعلمه السائل والمحروم بما اعتاد منهم "
 انظر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن
 عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير
 المعروف بتفسير ابن عاشور، سورة المعارج، مؤسسة
 التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ/
- ٢٠٠٠م، ط ١، ج ٢٩، ص ١٤١.
- (٩٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٩٧.
- (٩٥) أعني بالمجتمع المدني المعنيين المعنيين بالكلمة:
 بالنسبة إلى المدينة المنورة وثانياً ما يقابل الحكومي.
- (٩٦) زعم محمد صالح البنداق - صاحب معجم هداية
 الرحمن لألفاظ وآيات القرآن، بيروت، دار الآفاق
 الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ط ١، ص ٤٠٦. أنها
 مدنية، أي الآية لا السورة قلت: وليس صحيحاً ما
 قال؛ فقد قال عن آية الإسراء بعدها أنها مكية فكيف
 ذلك؟! ولم هذه مكية وهذه مدنية؟! وأين المنهجية
 والنسقية؟! وزعم الكاتب مدنية كل من الماعون
 والإنسان. وليس الأمر كما يرى.
- (٩٧) تنس أن سورة البقرة فيها حيثية أخرى شابهت فيها
 القرآن المكي؛ وذلك افتتاحها وتوأمها الزهراء الأخرى
 والثانية بالحروف المقطعة ونداء: "يا أيها الناس" وذلك
 في رأيي: لأنها أول ما نزل في المدينة، ويستثنى
 كذلك سورة المائدة في قصة ابني آدم: ﴿يُولَدْنَا
 أَعْرَجَاتُ﴾ [المائدة: ٣١].
- (٩٨) أ. د عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير
 البياني للقرآن، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ج ٢،
 ص ١٩٠، ١٩١.
- (٩٩) قيل في تفسيرها: "إنهم ليسوا أولياء لهذا البيت وإن
 كانوا يصلون عنده صلاتهم. فما هذه بصلاة! إنما
 كانت صفيراً بالأفواه وتصفيقاً بالأيدي، وهرجاً ومرجاً
 لا وقار فيه، ولا استشعار لحرمة البيت، ولا خشوع
 لهيبة الله..." سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣،
 ص ١٥٠٦.
- (١٠٠) ﴿وَمَا كَانُوا هَدَالًا تَهُمُ عَنَّا لَبِيبَاتٍ إِلَّا مَكَاوُ تَصَدِيقَةٍ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].